خالد وصل إلى طرف قرية قريبة فالتقى أحد سكانها، وأخفاه في بيته، وسارع لتضميد جراحه، وتقديم الطعام والشراب، محفوفاً بالحب والدفء، عبد الرحمن وصل إلى إحدى المستوطنات في المنطقة حيث هناك أدوات بناء، فتمدد على الأرض وقلب عليه الحوض الذي يخلطون به الإسمنت، بعد أن اسند طرفه بقطعة من الحجر كي يتمكن من التنفس ومراقبة ما يحدث، ومحمد تسلق شجرة زيتون معمرة وتمدد فوق أحد أغصانها الغليظة، واستمر اشتباك قوات الاحتلال مع أبي رشدي.

وبعد قصف موقع تحصنه تم تمشيط الجبل فلم يعثروا على أحد سواه فبدأوا يمشطون من جديد، بصورة أدق في الاتجاهات الأخرى، وقف الجنود تحت الشجرة التي تمدد محمد فوق غصنها دون أن يروه، وقد أعمى الله أبصارهم، ولم يقتربوا من طرق المستوطنة، فلا أحد يمكنه الافتراض أن أحد المجاهدين يمكنه الهروب لهذا المكان، والاختفاء به.

ساد التوتر أجواء دارنا خلال الأيام التالية كلها، فقد تجنب كل من محمود وحسن الالتقاء في الدار، ولم يأتيا للجلوس والسمر في غرفة أمي لعدة أيام، وكانا إذا التقيا أشاح كل منهما وجهه عن الآخر، وإذا اضطر أحدهما أن يلقي التحية على الآخر، تمتم بكلمات غير مفهومة، فرد الآخر بكلمات مبهمة غامضة.

أنا وإبراهيم واصلنا الجلوس عند الوالدة، وتابعنا الأخبار والأحداث، وقد أبديت دهشتي وانفعالي بالعمليات الفدائية التي نفذت، حين جاء ذكرها بالأخبار، أما إبراهيم فقد حافظ على وجهه جامداً كالصخر، ولم يتفوه بكلمة تعليق على ذلك، ولكنه انتقد الموقعين على اتفاق أوسلو دون التهجم والشتائم.

أحد أصدقاء أخي محمود ممن جاءوا من الخارج لدخول قوات السلطة لقطاع غزة، جاء لزيارتنا وهو يحمل خبرين: الخبر- أن لنا أخوين من أبينا، ماجداً وخالداً، سيأتيان مع القوات التي ستأتي من الخارج للقطاع، صرخ محمود حين سمع ذلك، صوت آخر هيا نجري لسماعه لي أخوان لا أعرفهما ماجد وخالد، وسيأتيان مع القوات ، يعني أنهما كبيران، نعم إنهم في مطلع العشرينات من أعمارهم، فصرخ محمود وأبي؟ ما هي أخبار أبي؟ فرد الضيف: هذا هو الخبر السيئ فيبدو أنه قد توفي في الأردن بعد ولادة أخويك، من الصدامات التي حدثت هناك. أمي حين سمعت ذلك سقطت على الأرض مغشياً عليها، ونحن قد بدأنا نحاول إفاقتها بتقريب زجاجة الكالونيا من أنفها، كنا كمن ضرب على قفا رأسه بمطرقة.